من ملامح
الدولة السعودية الثانية

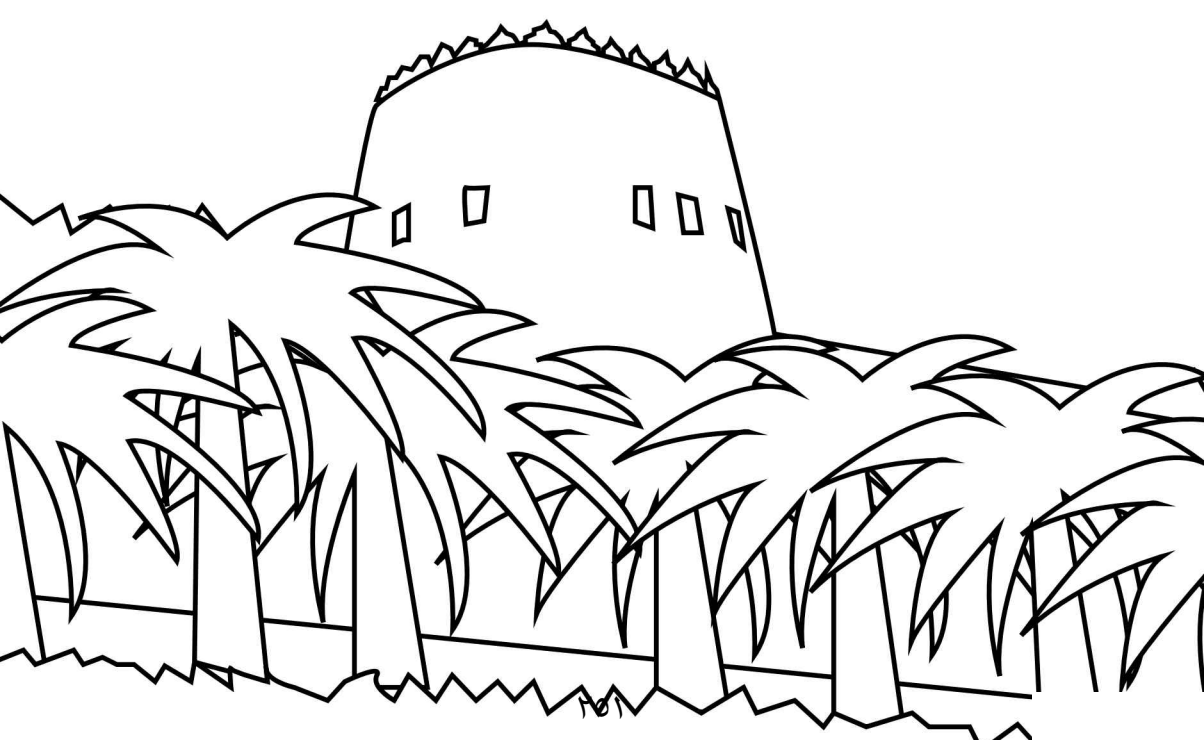

١ - الإدارة والحكم:

لم يمض عامان على نهاية الدولة السعودية الأولى إلا وقد بدأ آل سعود نشاطهم لتكوين دولة جديدة لهم. وكانت أولى محاولاتهم في هذا المجال تلك التي قام بها مشاري بن سعود سنة ١٢٣٥هـ. لكن محاولته لم تستمر إلا بضعة شهور؛ إذ قضى عليها محمد بن مشاري ابن مُعمَّر، الذي سبق أن اضطر إلى أن يتنازل لمشاري عن إمارة الدِّرْعيَّة. ثم تَسلَّم القيادة تركي بن عبدالله الذي واجه في بداية نشاطه صعوبات كبيرة من حملات محمد علي، حاكم مصر، ومن تعاون معه من سكان نجد؛ وبخاصة البادية. لكن ذلك النشاط تَكلَّل بالنصر سنة ١٢٤٠هـ. ومن هذا التاريخ إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري والبلاد يحكمها أفراد من آل سعود. لكن هؤلاء الحكام كانوا يختلفون من حيث نسبة القوة والضعف، ومن حيث درجة الاستقلال والتبعية. فبينما كان الإمام تركي بن عبدالله أقوى حكام الدولة السعودية الثانية، وأكثرهم استقلالاً، كان خالد بن سعود مُمثلًا للحكم المصري في البلاد، ولم يتَمكَّن من البقاء في السلطة بعد انسحاب جيش محمد علي من نجد إلا مدة قصيرة جدًّا.

وإذا كان الإمام فيصل بن تركي قد استولى على المناطق التي سبق أن استولى عليها أبوه الإمام تركي بن عبدالله، فإن الخلاف الذي حدث بين أبنائه بعد وفاته كان السبب الجوهري في نهاية الدولة السعودية الثانية.

ولقد ظَلَّت الدعوة الإصلاحية التي قامت على أساسها الدولة السعودية الأولى هي الركيزة التي اعتمد عليها الحكم في الدولة السعودية الثانية؛ وبخاصة في عهدي الإمامين تركي بن عبدالله وابنه فيصل. وظَلَّ الانسجام الذي كان بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وبين قادة الدولة السعودية الأولى قويًّا

بين الإمامين المذكورين وبين أحفاد ذلك الشيخ[1]. وقد تَوخَّى هذان الإمامان سيرة أسلافهما من آل سعود في استشارة ذوي الرأي والمشورة فيما يتعلَّق بأمور الدولة العامة[2].

على أن الإمام فيصل بن تركي بالذات لم يَتَّبع ما اتَّبعه قادة الدولة السعودية الأولى من عدم تعيين أناس من الأسرة الحاكمة في إمارات المناطق. فقد عيَّن ابنه سعودًا أميرًا لإقليم الخرج، وعَيَّن أخاه جلوي بن تركي حاكمًا عامًّا للقصيم. ولَعلَّ هدفه الأساسي من ذلك تثبيت الأمن والاستقرار في هذين الإقليمين. لكن وجود أخيه جلوي في القصيم، وإن نجح في تهدئة المشكلات فترة لا بأس بها، لم يمنع تَجدُّد تلك المشكلات وهو لا يزال هناك.

ومع أن سعود بن فيصل نجح في إدارة الأمور في الخرج إلا أن بقاءه في ذلك الإقليم فترة طويلة نسبيًّا ربما كان له أثر سلبي على مستقبل الدولة السعودية بعد وفاة أبيه. ولَعلَّ اعتياده على الأمر والنهي هناك قد نَمَّى لديه الرغبة في الحكم والتطلُّع إليه، فكان سببًا من أسباب خروجه على أخيه عبدالله.

وفي أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي اعتلَّت صحته، وفقد بصره. فأصبح ابنه الأكبر وولي عهده، عبدالله، يقوم بأعباء الحكم والإدارة نيابة عنه.

وكان الإمام فيصل متسامحًا، بصفة عامة، مع أمراء الحاضرة، بينما كان أكثر صرامة في تعامله مع رؤساء البادية. ولَعلَّ سبب ذلك اقتناعه بأن الحاضرة، بطبيعتهم والظروف المعيشية لهم، أكثر حرصًا على مراعاة الأمن وعدم الإخلال به من البدو الرحَّل.

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٨ و١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣ و٨٨.

ومن الواضح أن المشكلات التي أثارها أمراء الحاضرة في عهد الإمام تركي بن عبدالله كانت أَقلَّ من تلك التي أثارها أولئك الأمراء في عهد ابنه الإمام فيصل. ومن الواضح، أيضًا، أن علاقات أمراء المناطق بالإمام تركي كانت متشابهة من حيث الارتباط بالحكومة المركزية. لكن علاقات هؤلاء بالإمام فيصل كانت متفاوتة. فقد كانت إمارة جبل شَمَّر - مثلاً - في عهد هذا الإمام تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، الذي كان من أبرز معالمه حريتها في القيام بغزوات لصالحها في شمالي الجزيرة العربية، واحتفاظها بكثير من زكاة البلدان التابعة لها إداريًّا إن لم يكن بها كلها. ولَعلَّ سبب ذلك ما كان يوجد من علاقة خاصة بين الإمام فيصل بن تركي ومؤسس هذه الإمارة، عبدالله بن رشيد، الذي لم يَتولَّ الإمارة المذكورة إلا بتعيين من ذلك الإمام، والذي كان من أبرز أعوانه في الوصول إلى الحكم في الفترتين الأولى والثانية من عهده.

٢- الشؤون العسكرية:

أما بالنسبة للنظام العسكري في تلك الفترة فكان مشابهًا للنظام العسكري في الدولة السعودية الأولى من حيث قيادة الجيش، وطريقة تكوينه، ووسيلة الإنفاق عليه، لكن الغزوات في الدولة السعودية الثانية كانت أَقلَّ من الغزوات في الدولة السعودية الأولى. وكانت - إلا ما ندر منها - مُوجَّهة ضد أناس في جهات تابعة للدولة من الناحية الرسمية بينما كانت الغزوات في الدولة السعودية الأولى- إلا ما ندر منها- مُوجَّهة إلى قُوَى خارج مناطقها لبسط نفوذها عليها.

٣- النظام المالي:

وكان النظام المالي في الدولة السعودية الثانية مشابهًا للنظام المالي في الدولة السعودية الأولى، من حيث مصادر الدخل ووجوه الإنفاق. لكن الدولة

السعودية الأولى كانت أكثر دخلاً لاتِّسَاع رقعتها، ووفرة غنائمها من غزواتها الكثيرة الناجحة.

٤- العلم والتعليم:

أما الناحية العلمية والثقافية فقد ظَلَّت جيدة. ذلك أن اهتمام قادة الدولة السعودية الثانية؛ لا سيما الإمامان تركي وفيصل، بالعلم والعلماء كان مشابهًا، إلى حَدٍّ ما، لاهتمام أسلافهم في الدولة السعودية الأولى. وكان من أبرز علماء البلاد في تلك الفترة عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وابنه عبداللطيف، وعبدالله أبو بطين. على أن التركيز العلمي ظَلَّ- كما كان سابقًا- على التوحيد والعقيدة. ولكن علوم اللغة العربية حظيت باهتمام أوفر من الاهتمام الذي حظيت به في الدولة السعودية الأولى.

وظهرت كتابات نثرية وشعرية فيها لمحات لا بأس به من حيث الجودة. أما الشعر العامي الجميل القريب من الفصحى فقد ازدهر ازدهارًا عظيمًا، وأُثِر منه الشيء الكثير. وممن أُثِر عنهم ذلك اللون من الشعر عدد من أفراد الأسرة السعودية وغيرهم من أمراء المناطق وزعماء القبائل. وقد أسهم بعض الشعر- إضافة إلى التمتع به- في توضيح كثير من الأحداث السياسية والاجتماعية.

٥- العلماء والقضاة:

شهدت الدولة السعودية الثانية وجود علماء أفاضل وقضاة أكفاء. وكان بعض هؤلاء العلماء والقضاة قد وُلِدوا في عهد الدولة السعودية الأولى. ومنهم من تَعلَّموا في ذلك العهد. بل إن منهم من تَولَّى القضاء في أواخره، لكن أكثر أعمالهم وإنتاجهم كان في عهد الدولة السعودية الثانية. وكان من أبرز أولئك العلماء والقضاة:

١- عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وقد وُلِد في الدِّرعية سنة ١١٩٣هـ، وتتلمذ على علمائها، وَتولَّى القضاء في الدِّرعية، كما تَولَّاه فترة قصيرة في مكة. وكان مع عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء سنة ١٢٢٦هـ. وقد دافع عن الدِّرعية مع المدافعين عنها. ثم أُخِذ إلى مصر، وجالس علماءها، وناقشهم. ثم عاد إلى نجد عام ١٢٤١هـ، وأصبح يَتولَّى الشؤون الدينية في دولة الإمام تركي بن عبدالله. وظَلَّ في منصبه حتى وفاته في عهد الإمام عبدالله بن فيصل سنة ١٢٨٥هـ[١].

٢- عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن. وُلِد في الدِّرعية سنة ١٢٢٥هـ، وأُخِذ مع أبيه إلى مصر بعد استسلام هذه البلدة لإبراهيم باشا. وتَعلَّم في الأزهر مختلف العلوم الشرعية والعربية. ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ، فأصبح الساعد الأيمن لأبيه عبدالرحمن في إدارة الشؤون الدينية. ولما حدث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته بذل جهدًا كبيرًا لتخفيف وطأة ذلك النزاع. وقد توفي عام ١٢٩٣هـ[٢].

٣- عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين. وُلِد في روضة سُدَير سنة ١١٩٤هـ. وتَعلَّم فيها، ثم في شقراء، ثم في الدِّرعية. ولما دخلت الطائف تحت الحكم السعودي عُيِّن قاضيًا لها. ثم ولي قضاء جهات عمان. وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تَولَّى قضاء الوَشْم، ثم تَولَّى قضاء القصيم، مُتَّخِذًا من عُنَيزة مقرًّا له؛ وذلك من سنة ١٢٥١هـ إلى سنة ١٢٧٠هـ. وبعد هذا استقر في شقراء حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ. وهو من أكثر علماء زمنه النجديين تأليفًا لكتب جيدة[٣].

---

(١) الشيخ البسام، ص٥٦ - ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج١ - ص١ / ٦٣ - ٧١.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦٧ - ٥٧٥.

٤- عبدالله بن عبداللطيف. وُلِد خلال إقامة والده المؤقَّتة في الأحساء علم ١٢٦٥هـ، فنشأ في بيت جَدِّه لأُمِّه، قاضي تلك البلاد، عبدالله الوهيبي، وتَتلمذ على علمائها الأفاضل. ثم انتقل إلى الأفلاج، واستقر فيها، حتى أقنعه قاضيها حمد بن عتيق بالانتقال إلى الرياض، ففعل. وأصبحت له مساهمة كبيرة في إصلاح الأمور العامة. وقد استقدمه الأمير محمد بن رشيد إلى حائل، فمكث فيها فترة، ثم عاد إلى الرياض. ولما بدأ الملك عبدالعزيز آل سعود حكمه أصبح عونًا له في تسيير الشؤون الدينية. وقد توفي عام ١٣٣٩هـ[١].

٥- حمد بن عتيق. وُلِد في الزلفى سنة ١٢٢٧هـ. ثم انتقل إلى الرياض، وتتلمذ على علمائها. وقد تَولَّى قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم الأفلاج، واستمر قاضيًا للبلدة الأخيرة حتى وفاته سنة ١٣٠١هـ[٢].

٦- الأمراء وقادة الجيوش:

كان الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو القائد لأتباعه قبل بداية دولته، وظل يقود بعض الغزوات بعد ذلك، ولما قدم إليه ابنه فيصل من مصر تَولَّى قيادة أكثر الغزوات. وكان وضع عبدالله بن فيصل في فترة حكم أبيه الثانية مشابهًا لوضع ذلك الأب في عهد الإمام تركي. ولما حدث النزاع بينه وبين أخيه سعود كان كل منهما يقود أتباعه أحيانًا، وأحيانًا كان أخواهما محمد وعبدالرحمن يقودان أولئك الأتباع.

على أنه برز في عهد الدولة السعودية الثانية عدد من الشخصيات التي تَولَّت مناطق، أو قيادة جيوش، ونجحت نجاحًا كبيرًا. ومع أن هناك عددًا من

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٧٢ - ٨١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٨ - ٢٣٢.

أمراء المناطق وزعماء القبائل الذين كانت لهم جهود مُهمَّة في تاريخ تلك الفترة، فإن بعض هؤلاء وأولئك قد ورد في الحديث عن الدولة السعودية الثانية ما وَضَّح تلك الجهود مما لا يحتاج إلى تلخيص أو إعادة؛ وبخاصة أن قسمًا منهم لم يكونوا دائمًا على وفاق مع قادة تلك الدولة. ولذلك فإن الكلام الموجز هنا، سيكون خاصًّا ببعض الأمراء والقادة الذين اعتمدت عليهم الدولة كثيرًا. ومن أشهر هؤلاء:

١- أحمد بن محمد السديري. وفد إلى الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٣٩هـ على رأس جماعته أهل الغاط مبايعًا. ثم عَيَّنه إسماعيل بك أميرًا لسُدير عام ١٢٥٣هـ، فأحسن السيرة بأهلها. ثم أَمَّره خورشيد باشا على الأحساء فترة من عام ١٢٥٥هـ.ثم عيَّنه عبدالله بن ثنيان أميرًا للقطيف سنة ١٢٥٨هـ. ثم عَيَّنه الإمام فيصل بن تركي أَميرًا للإحساء سنة ١٢٦٠هـ. وكان له جهد كبير في تثبيت الحكم السعودي هناك، وفي جهات عمان عندما نقل إليها أميرًا سنة ١٢٧٠هـ. وقد توفي بالأحساء عام ١٢٧٨هـ[١].

٢- تركي بن أحمد السديري. عَيَّنه الإمام فيصل بن تركي أميرًا في الأحساء عام ١٢٧٠هـ، ثم حَلَّ محلَّ أبيه في جهات عمان بعد سنة ١٢٧٨هـ. وكان له جهد مشابه لجهد أبيه في الأحساء، ثم في الجهات العمانية. وظَلَّ هناك حتى اغتيل عام ١٢٨٥هـ[٢].

٣- محمد بن أحمد السديري. عَيَّنه خورشيد باشا أميرًا للإحساء عام ١٢٤٥هـ. وكان أميرًا لسُدَير، ثم عَيَّنه الإمام فيصل أميرًا في بُرَيدة سنة

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢١، ٩٢، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨ - ١١٢، ١١٥، ١٢٦، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠؛ ابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص١٦٤ و١٧٥.

(٢) وايندر، ص٢٠٢، ٢٣١ - ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٦.

١٢٧٩هـ. ثم أَمَّره في الأحساء عام ١٢٨٠هـ. وكان مع سعود بن فيصل في معركة طلال ضد الرُّوقة من عُتَيبة عام ١٢٩٠هـ، فقُتِل في تلك المعركة[١].

٤- عمر بن عُفَيْصان. كان مع الإمام تركي بن عبدالله في عِرْقة سنة ١٢٣٩هـ، ثم عَيَّنه ذلك الإمام أميرًا للخرج سنة ١٢٤١هـ، ثم أرسله قائدًا سَريَّة إلى عمان سنة ١٢٤٤هـ. وفي عام ١٢٤٥هـ غزا جهة الأحساء. ولما دخلت تحت الحكم السعودي تلك السنة عَيَّنه أميرًا لها. وفي سنة ١٢٤٨هـ قاد الجيوش المُتَّجهة إلى عمان، فنجح هناك. وظل أميرًا للإحساء حتى عام ١٢٥٤هـ عندما هرب منها خوفًا من خورشيد باشا، وعدم ثقة به، ثم أعاده عبدالله بن ثُنيَّان إلى إمارة الأحساء سنة ١٢٥٨هـ[٢].

*****

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٦، ١١٣، ١١٥، ١٤٩، ١٦١، ١٨٠؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص٤٢، ٤٤و ٧٦.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص١٨، ٢٧، ٤٢، ٤٥، ٤٩ - ٥٠، ٥٥، ٦٥ - ٦٦، ٧٧، ٩٠، ٩٨ - ٩٩، ١٠٥ - ١٠٦، ١٠٨ - ١٠٩، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣ و١٢٤ - ١٢٦.